تأثير العامل الصوتي و الصرفي في بناء الصيغ الصرفية

كتاب ""مشكل إعراب القرآن "" لمكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) أنموذجاً

طالب محمد أنحيب

د. بن إدريس بن خوية

جامعة أدرار

Résumé
Celui qui lit l'ouvrage de « Al-Makki Ibn AbiTalib »,sur les problémesde désinencescasuelles et modales ou **« I'rab »** dans lesaint Coran, va certainement remarquer que ce dernier met beaucoup l'accent sur les structures (les formules) morphologiques et les interactions phonétiques qui s'ensuivent comme la suppression, la diphtongue et l'apostrophe, et cela est causé comme l'avait expliqué notre auteur à deux facteurs, à savoir : la balance morphologique et la contiguïté phonétique.

Mots clés :
La diphtongue, la suppression, l'apostrophe, balance morphologique, contiguïté phonétique.

Abstract :
He whoreads the work of « Al-Makki ibn abiTalib »about the problems of arabic case system or **« I'rab »**in the holyQuran, willcertainly notice that the authorputsmuchemphasis on morphological structures (formulas) and the phonological interactionsthatfollowthem, like : supression, diphthong and apostrophe. According to the authorthereistwo main factorsbehindthis, thatis to say : morphological balance and the phoneticrelatedness.
Key words
Diphthong, Suppression, apostrophe, morphological balance, phoneticrelatedness.

الملخص:

إن القارئ لكتاب""مشكل إعراب القرآن "" لمكي بن أبي طالب القيسي، يلاحظ أنه يركز الصيغ الصوتية وما يحدث فيها من تفاعل صوتي كالحذف و الإدغام . وحسب تعليلاته فإن السبب يعود إلى عاملين اثنين هما: الميزان الصرفي و المجاورة الصوتية.

الكلمات المفتاحية:

الإدغام – الحذف – الميزان الصرفي – المجاورة الصوتية.

مقدمة

كتاب "مشكل إعراب القرآن " لمكي بن أبي طالب القيسي*من أشهر كتب إعراب القرآن، ومن مزايا هذا الكتاب الاهتمام بالقضايا الصرفية، حيث تضمّن الكتاب حوالي مائتين وثمانين 280 مسألة صرفية.

لكن ما يلاحظ على هذه القضايا هو تركيز المؤلف على الصيغ الصرفية التي أصابها تغيير داخلي لسبب من الأسباب، أي أن الكثير من الصيغ حدث فيها تغيير من حالة إلى حالة، كالانتقال مثلا من الإفراد إلى الجمع، أو انتقال الفعل من التجرد إلى الزيادة . فالسؤال:ما العوامل المؤثرة في حدوث هذه التغييرات؟ وللإجابة على هذاالإشكال فقد اقتصرت في هذه الدراسة على مظهرين من مظاهر التغيير: الإدغام والحذف مع ذكر نماذج لكل منهما.

أوّلًا– الإدغام:

1 -تعريفالإدغام

لغة:

إدخال الشيء في الشيء، يقال: أدغمت اللّجام في فم الفرس أي أدخلته فيه[1].

اصطلاحًا:

«أن تصل حرفًا ساكنًا بحرف متحرّك، من غير أنّ تفصل بينهما بحركة أو وقف، بحيث يرتفع اللّسان بالحرفين ارتفاعة واحدة وينحطّ بهما دفعة واحدة، فيصيران حرفًا مشدّدًا»[2] ويقول ابن جني في الإدغام:«قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنّما هو تقريب صوت من صوت...أَلَا ترى أنّك في **(قطَّع)** ونحوه قد أخفيت السّاكن الأوّل في الثّاني تكون في الأوّل لو لم تدغمه في الآخر»[3].

2- سببه:

إنّ الأصوات إذا تجاورت أَثَّر بعضُهما في بعض، والإدغام صورة من صوّر هذا التأثّر؛ لأنّ الحرف المكرّر يحدث بسببه الثّقل على اللّسان، ولذلك حاولوا التخلّص من هذا الثّقل الحاصل بإدغام أحد الحرفين في الآخر، يقول ابن عصفور في ذلك:«إنّ النّطق بالمثلين ثقيل، لأنّك تحتاج فيهما إلى إعمال العضو الذي يخرج منه الحرف المضعّف مرَّتين، فيكثر العمل على العضو الواحد...فلمّا كان فيه من الثّقل ما ذكرت لك رفع اللّسان بهما رفعة واحدة ليقلّ العمل، ويخفّ النّطق بهما على اللّسان، وأمّا المتقاربان فلتقاربهما أجريا مجرى المثلين»[4].

3- أقسامه:

ينقسم الإدغام بحسب الاستعمال إلى قسمين: الإدغام اللّغويّ والإدغام الصّرفيّ.

والإدغام اللّغوي: وهو المسموع من كلام العرب وهو إدغام جائز غير مطّرد، والإدغام الصّرفي وهو واجب الإدغام، وهو إدغام شائع، وله قواعد يتبيّن من خلالها أصول الألفاظ التي وقع فيها الإدغام[5].

ويقسّم الصّرفيون الإدغام إلى ثلاثة أقسام:

1 - **واجب الإدغام:** ويكون ذلك إذا أُسْكِن أو المثلين وتحرّك الثّاني، ولم يفصل بينهما بفاصل، نحو:(حدَّ) و(شدَّ).

2 - **ممتنع الإدغام:** وذلك إذا تحرّك أوّل المثلين أو أسكن الثّاني، نحو:(ظَلَلْت) و(رسول الحُسن).

3 - **جائز الإدغام:** وهو ما عدا ذلك، نحو:(يشاقق)، و(أنعت تلك) و(المال لزيد) و(ثوب بكر)[6].

أمّا القرّاء فيقسّمون الإدغام إلى قسمين:

1 - **الإدغام الكبير:** وهو ما كان فيه الأوّل من الحرفين متحرّكًا، سواء أكان متماثلين أم متجانسين أم متقاربين، وسمّوه كبيرًا، لأنّه أكثر من الصّغير، ولما فيه من تصيير المتحرّك ساكنًا، وليس ذلك في الإدغام الصّغير، ولما فيه من الصّعوبة[7].

2 - **الإدغام الصّغير:** وهو الذي يكون الأوّل من الحرفين فيه ساكنًا، وليس فيه إدغام متحرّك[8].

وللإدغام الصّغير أسباب صوتية وهي: التّماثل والتّجانس والتّقارب.

أسباب الإدغام الصّغير:

من أسباب التقارب والتجانس.

والتّماثل هو أن يتفق الحرفان في المخرج والصّفات معًا مثل الياءين[9] نحو قوله تعالى:﴿اَضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾[10].

أمّا التّقارب فهو أن يتقارب الحرفان في الصّفات والمخرج مثل اللّام والرّاء[11]. نحو قوله تعالى:﴿وَقُل رَّبِ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾[12] فاللّام والرّاء متقاربان من حيث المخرج، فاللّام تخرج من أدنى حافتي اللّسان إلى منتهى طرفه، مع ما يليه من أصول الثّنايا العليا، والرّاء تخرج من طرف اللّسان ممّا يلي ظهره مع ما فوقه من الحنك الأعلى[13]. ومن حيث الصّفات فها مشتركان في الجهر والتّوسّط والاستفال والانفتاح والإذلاق والانحراف[14].

وقد يتقارب الحرفان في المخرج، ويتباعدان في الصّفات مثل: الدّال والسّين[15]، نحو قوله تعالى:﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[16]، فالدّال والسّين متقاربان في المخرج؛ فالدّال تخرج من طرف اللّسان مع ما يليه من أصول الثّنايا العليا، والسّين تخرج من طرف اللّسان مع أطراف الثّنايا السّفلى[17]، وهما متباعدان في الصّفات لأنّ الدّال مجهورة وشديدة ومقلقلة، والسّين مهموسة ورخوة، وصفيرية[18].

وقد يتباعدان في المخرج، ويتقاربان في الصّفات مثل الدّال والجيم[19]، نحو قوله تعالى:﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[20]، أمّا من حيث المخرج، فإنّ الدّال تخرج من طرف اللّسان مع أطراف الثّنايا العليا، والجيم تخرج من وسط اللّسان مع ما يليه من الحنك الأعلى[21].

أمّا من حيث الصّفات، فإنّ كلًّا منهما مشترك في الرّخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات[22].

أمّا التّجانس فهو أن يتّفق الحرفان في المخرج دون الصّفات مثل الدّال والتّاء[23]، نحو قوله تعالى:﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[24]. فالدّال والتّاء يخرجان من مخرج واحد وهو طرف اللّسان مع أصول الثّنايا العليا[25].

أمّا من حيث الصّفات، فيشتركان في الهمس، والشّدّة والاستفال، والانفتاح، والإصمات[26].

إلّا أن بعض علماء الأصوات المحدثين يرون أنّ الدّال والتّاء مختلفان في صفة الهمس. فصوت الدّال عندهم مجهور وليس مهموسا[27].

- إدغام المتجانسين:

أ- إدغام التّاء في الدّال:

- **ادَّارَكَ:**

من قوله تعالى:﴿بَلِ ادَّارَكَ عَمَلُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾[28].

وقرأ ابن ..... وأبو عمرو وأبو جعفر بقطع الهمزة مفتوحة، وإسكان الدّال من غير ألف بعدها، وقرأ الباقون بوصل الهمزة وتشديد الدّال مفتوحة وألف بعدها[29].

ومعناه بل تكامل عملهم في قيام السّاعة فلا مزيد عندهم أو بل تتابع عملهم في علم الآخرة فلم يبلغوا إلى شيء[30].

وأصل (إدَّارَك) بألف وصل مشدَّدًا عن مكي «تدارك ثمّ أدغمت التّاء في الدّال، ودخلت الوصل في الابتداء لسكون أوّل مشدّد»[31].

وسبب إدغام التّاء في الدّال كما قال ابن جني:«أنّها أختها في المخرج، فقلبها إلى لفظها وأسكنها وأدغمها فيها»[32].

- **يَدَّعون:**

من قوله تعالى:﴿لَهُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾[33].

يقول مكي:«وأصل يَدَّعون يَدْتَعِيون على وزن يفتعلون، من دعا يدعو فأسكنت الياء بعد أن ألقيت حركتها على ما قبلها وحذفت لسكونها وسكون ما بعدها، فصارت يَدَّتَعون فأدغمت التّاء في الدّال»[34].

وسبب إدغام التّاء في الدّال بل الدّال في التّاء هو أنّ الدّال مجهور والتّاء مهموس والمجهور أقوى من المهموس وردَّ الحرف إلى الأقوى أولى من ردِّه إلى الأضعف، ومثله (مدثر)[35] أصله منه.

ب- إدغام التّاء في الطّاء:

- **اطَّيَّرنا:**

وأصل (اطيرنا) تطيّرنا أسكنت التّاء وأدغمت في الطّاء واجتلبت ألف الوصل للابتداء بها[36].

وسبب إدغام التّاء في الطّاء هو الاتفاق في المخرج، وقوّة الطّاء في الجهر على التّاء المهموسة[37].

ومثله (يطّوّف) من قوله:﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَّطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[38]. أصله يتطوّف على وزن يتفَعَّل[39].

ج- إدغام المتقاربين:

- إدغام التّاء في الزّاي:

من قوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾[40].

والمزمّل اسم فاعل تزمَّل، وهو الّذي تزمَّل في ثيابه أي تلفّف بها، والتزمّل مشتقّ من الزّمل بفتح وسكون وهو الإخفاء، ولا يعرف (تزمَّل) فعل مجرّد وفي معناه، فقد اشتهر على وزن التفعّل المزيد[41].

وقرأ الجمهور المزَّمِّل، وقرأ أُبي بن كعب المُتَزَمِّل[42]، والمتزمل هي أصل المزمل أدغمت التّاء في الزّاي[43].

- **ازَّيَّنَتْ:**

من قوله تعالى:﴿حَتَّىٰٓإِذَآ أَخَذَتِ الارْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾[44].

وأصلها تَزَيَّنت ووزنه تَفَعَّلت، ثمّ أدغمت التّاء في الزّاي، فاحتيج إلى ألف الوصل للابتداء بها[45].

- إدغام الواو في الياء:

- **ليّا:**

من قوله تعالى:﴿وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾[46].

اللّي لوى يلوي، ويعني هنا الشّيء والانعطاف[47].

وفيها إدغام يقول مكي:«...قوله (ليًّا) مصدره أصله (لَوْيًا) أدغمت الواو في اليّاء»[48].

- **دَيَّارًا:**

من قوله تعالى:﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الَارْضِ مِنَ الْكَفِرِينَ دَيَّارًا﴾[49].

وهو من درت، وهو فيعال من الدّوران[50]، وفيها إدغام يقول مكي:«قوله (من الكافرين ديّارا) هو فيعال من دار يدور أي لا تذر على الأرض من يدور منهم وأصله ديوار ثمّ أدغم الواو في اليّاء مثل: مَيِّتْ الذي أصله ميوت ثمّ أدغم الثّاني في الأوّل»[51].

ثانيا- الحذف:

1 -تعريف الحذف :

لغة

الحذف في اللّغة: القطع والإسقاط، جاء في الصّحاح:«حذف الشّيء إسقاطه، يقال حذفت مِنْ شَعْرِي ومن ذنب الدّابة، أي أخذت...وحذفت رأسه بالسّيف، إذا ضربته فقطعت منه قطعة»[52]، وجاء في اللّسان «حذف الشّيءَ يَحْذِفُه حَذْفًا قطعه من طرفه والحجَّام يحذف الشَّعر من ذلك...والحذف الرَّمْي عن جانب والضرب»[53].

اصطلاحا:

لم أجد فيما اطلعت عليه من كتب النّحاة القدامى تعريفًا موحّدًا وواضحًا لظاهرة الحذف. ولكن وجدت إشارات لهذه الظّاهرة واستنتجت منها أنّ الحذف هو إسقاط حرف أو حركة من كلمة لسبب صوتي أو صرفي طلبًا للتّخفيف.

2- الحذف عند مكي:

لاحظ مكي عند إعرابه لِمَا أُشكل من الآيات أنّ بعض الصّيغ طرأ عليها تغيير بالحذف إمّا في أوّلها أو وسطها، أو آخرها، فأخذ يعلّل لهذا الحذف أَنَّى عَنَّت له كلمة في ذلك بإرجاعها لأصلها من الكلمات التي عالجها فيما يلي:

1- الحذف لالتقاء السّاكنين:

أ- حذف التّنوين:

ومن الكلمات التي حدث فيها التّنوين حسب مكي عزير وأحد وزينة.

- **عزير:**

من قوله تعالى:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللهِ﴾[54]. قرأ عاصم والكسائي ويعقوب:«عزير ابن الله» بالتّنوين وقرأ الباقون بحذف التّنوين[55].

يقول مكي في تعليل هاتين القراءتين:«...مَنْ نَوَّن عُزيرًا رفعه بالابتداء، وابنٌ خبره، ولا يحسن حذف التّنوين على هذا من عزير لالتقاء السّاكنين... ومَنْ لم يُنَوِّن عُزَيرًا جعله أيضا مبتدأ وابن صفة له فيحذف التّنوين على هذا استخفافًا وللالتقاء السّاكنين»[56].

وهناك من يرى أنّ عُزيرًا اسم أعجمي إلّا أنّه صرّف -على قراءة من نَوَّن- لخفّته كـ«نوح ولوط» وقيل -أيضا- صُرف لأنّه جاء على صورة الأسماء العربيّة المصغَّرة مثل «نُصَيْر، وبُكَيْر» فلّما أشبهها نُوِّن وصرف وإن كان في الأصل أعجميًّا. أمّا عن حذف فقيل: إمّا لأنّه اسم أعجمي، أو لكثرة الاستعمال[57].

- **أحد:**

من قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ اللهُ الصَّمَدُ﴾[58].

يقول مكي في حذف التّنوين من أحد:«...وقد قرأ أبو عمرو بحذف التّنوين من أحد لالتقاء السّاكنين»[59]، وفي السّياق نفسه يقول الفرّاء:«والذي قرأ أحدٌ الله الصّمد بحذف النّون من (أحد) يقول النّون نون الإعراب إذا استقبلتها الألف واللّام حذفت وكذلك إذا استقبلها ساكن»[60].

- **زينة:**

من قوله تعالى:﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمآءَ الدُّنْيا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾[61].

يقول مكّي:«...قوله تعالى:(بزينة الكواكب) من خفض الكواكب ونَوَّن بزينة وهي قراء حفص عن عاصم وحمزة فإنّه أبدل الكواكب من زينة...وقد قرأ أبو بكر عن عاصم بنصب الكواكب وتنوين زينة على أنّه أعمل الزّينة في الكواكب فنصبها بها تقديره بأنّ زيَّنَا الكواكب فيها...فأمّا قراءة الجماعة بحذف التّنوين والإضافة فهو الظّاهر، لأنّه على تقدير إنّا زيّنّا السّماء الدّنيا بتزيين الكواكب أي بحسن الكواكب، وقد يجوز أن يكون حذف التّنوين لالتقاء السّاكنين»[62].

المفهوم من كلام مكّي أنّ حذف التّنوين ليس بالضّرورة لعلّة صوتيّة فقد يكون لعلّة نحويّة كما بَيَّن.

حذف الألف:

- **رَبَتْ:**

من قوله تعالى:﴿فَإِذَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اَهْتَزَّتْ وَرَبَتِ﴾[63].

قرأ أبو جعفر (ربَأَت) بهمزة مفتوحة وقرأ الباقون بحذف الهمزة[64]، وعن الفرق بين (ربت) و(ربَأَتْ) يقول ابن جنّي:«ومن ذلك قراءة أبي جعفر:(وَربَأَت) بالهمزة، ورويت عن أبي عمرو بن العلاء، قال أبو الفتح: المسموع في هذا المعنى ربت؛ لأنّه من رَبَا يربو: إذا ذهب في جهاته زائدا، وهذه حال الأرض إذا ربت. وأمّا الهمز فمن: رَبَأْتُ القَوْم: إذا أشرفت مكانًا عاليًا لتنظر لهم وتحفظهم، وهذا إنّما فيه الشّخوص والانتصاب وليس له دلالة على الوفور والانبساط، إلّا أنّه يجوز أن يكون ذهبه إلى علو الأرض (ربت).

لِمَا فيه من إفراط الربوء، فإذا وصف علوها دلّ على أنّ الزّيادة قد شاعت في جميع جهاتها، فلذلك همز، وأخذه من ربأت القوم، أي: كنت لهم طليعة»[65].

وفي تعليل حذف الألف من ربت يقول مكي:«قوله (ربت) حذفت لام الفعل لسكونها وسكون تاء التّأنيث، وهو من ربا يربو إذا زاد ومنه الرّبا في الدّيْن»[66].

ج- حذف الواو:

- **لم يكن:**

من قوله تعالى:﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ اَهْلِ الْكَتَـٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾[67].

وأصل (يكن) يكون حذفت منها الواو بعد الجزم (لم).

يقول مكي في تعليل الحذف منها:«قوله تعالى (لم يكن الّذين) كسرت النّون لسكونها وسكون اللّام بعدها، وأصلها السّكون للجزم، وحذفت الواو قبلها لسكونها وسكون النّون، ولم ترد الواو عند حركة النّون لأنّ الحركة عارضة لا يعتدّ بها ومثله قم اللّيل وهو كثير في القرآن في كلّ فعل مجزوم أو مبني وعينه واو أو ياء أو ألف مبدلة من أحدهما»[68].

- **صال:**

من قوله تعالى:﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾[69].

وقرأ الحسن إلّا من هو صالُ الجحيم يضمّ اللّام، وقرأ الباقون (صالي) بالياء[70].

يرى مكي في قراءة من ضَمَّ اللّام في (صال) على تقدير صالون فحذف النّون للإضافة وحذف الواو لسكونها وسكون اللّام بعدها[71] ويرى الأزهري الأصل إلّا من هو صالي بضمّ الياء، ولكن سقط الإعراب بالضّمّ لاجتماع السّاكنين، وأضيف (الجحيم) بكسر اللّام[72].

د- حذف الياء:

- **تنسون:**

من قوله تعالى:﴿أَتَامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[73].

ويرى مكي أنّ أصل تنسون تنسيون فقلبت الياء ألفا، لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثمّ حذفت لسكونها وسكون الواو بعدها وبقيت السّين مفتوحة لتدلّ على الألف[74].

2- الحذف للإضافة:

- حذف النّون:

- **لذائقو:**

من قوله تعالى:﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ الْعَذَابَ اِلْأَلِيمِ﴾[75].

حذفت النّون من (لذائقو) لأنّه أضيف إليها العذاب، وحذفت للتّخفيف ومثله إلّا من هو صال[76]. وهذه طريقة العرب في الإضافة لجمع المذكّر السّالم[77].

الحذف لاجتماع المثلين:

- **تحاجّوني:**

من قوله تعالى:﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَيٰنِ﴾[78].

قرأ نافع وابن ذكوان وأبو جعفر وهشام (أتحاجُّوني) بتخفيف النّون وقرأ الباقون (أتحاجُونِّي) تشديد النّون[79].

وحذفت نون الوقاية من (تحاجونني) وهي النّون الفاصلة بين الفعل والياء[80]، لاجتماع النّونين النّون الأولى وهي علامة الرّفع، والنّون الثّانية التي للوقاية، يقول مكّي في ذلك:«قوله (أتحاجوني) من خفّف النّون فإنّما حذف الثّانية التي دخلت مع الياء التي هي ضمير المتكلم لاجتماع المثلين مع كثرة الاستعمال، وترك النّون التي هي علامة الرّفع –وفيه قبح– لأنّه كسرها لمجاورتها الياء، وحقّها الفتح، فوقع في الكلمة حذف وتغيير»[81]، وإنّما وقع الحذف على النّون الثّانية، ولم يحسن أن يكون المحذوف هو النّون الأولى، لأنّها علامة الرّفع في الفعل، وحذفها علامة النّصب والجزم، يقول ابن مالك:

وَجْعَـــلْ لِنَحْـــوِ يَفْعَـــلَانِ النُّونَـــا رَفْعًـــا وتَـــدْعُونَا وَتَسَـــأَلُونَا

وَحَـــذْفُهَا لِلْجَـــزْمِ وَالنَّصْـــبِ سِـــمَه كَلَـــمْ تَكُـــونِي لَتُبِنِـــي مَظْلَمَـــه[82]

وحذف النّون الأولى الّتي هي علامة رفع الفعل، لا شبه الفعل المرفوع بالمنصوب والمجزوم، يضاف إلى ذلك، أنّ الثّقل حدث بوجود النّون الثّانية، فحذف ما يحدث به الثقل أولى من غيره[83].

ويقول مكي:«...ومن زعم أنّ الأولى هي المحذوفة إنّما استدلّ على ذلك بكسر النّون الثّانية، وذلك لا يجوز لأنّ النّون الأولى علامة الرّفع، ولا يحذف الرّفع من الأفعال لغير جازم ولا ناصب، ويدلّ على أنّ الثّانية هي المحذوفة، دون الأولى أن الاستثقال إنّما يقع بالثّاني»[84].

- **تبشرون:**

من قوله تعالى:﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونِ﴾[85].

قرأ نافع وابن كثير بكسر النّون، وفتحها الباقون، وشدّدها ابن كثير، وقرأ الباقون بتخفيفها[86].

حذفت نون الوقاية من (تشرون) كما في (تحاجّوني) يقول في علّة حذفها:«...(قوله تبشرون) أصله تبشرونني، لكن حَذَفَ نافع النّون الثّانية التي دخلت للفصل بين الفعل والياء لاجتماع المثلين وكسر النّون التي هي علامة الرّفع، لمجاورتها الياء، وحذف الياء لأنّ الكسرة تدلّ عليها، وفيه بعد لكسر نون الإعراب وحقّها الفتح لالتقاء السّاكنين»[87].

4- الحذف لكثرة الاستعمال:

- **يكُ:**

من قوله تعالى:﴿وَإِنْ يَّكُكَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾[88].

علّل مكي حذف النّون من (يك) لكثرة الاستعمال[89]. وهو في هذا رأي سيبويه حيث يقول:«...وليس كلّ حرف هكذا، كما أنّه ليس حرف بمنزلة –لم يك– ولكنّهم حذفوا هذا لكثرته وللاستخفاف»[90] والحقّ أنّ كثير من العلماء على هذا الرّأي[91].

- **النّاس:**

من قوله تعالى:﴿قُلَ اَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[92].

والنّاس اسم جمع للبشر أو طائفة منهم[93]، وقيل إنّ أصلها أناس فخفّفت الهمزة[94]، وقيل حذفت[95].

ويقول مكي في ذلك:«أصل عند سيبويه أناس والألف واللّام بدل من الهمزة»[96].

- **ذو–ذوات:**

من قوله تعالى:﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[97]، ومن قوله تعالى –أيضا–:﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤمِنِينَ﴾[98].

و(ذات) في اللّغة مؤنّث (ذو) وهو اسم ناقص، بمعنى صاحب تقول:«ذو مال أي صاحب مال، يثنّى ويجمع على (ذوات) و(ذواتا) و(ذوون) و(ذوان) وفي النّحو هو أحد الأسماء السّتة: أبوك، وأخوك، وحموك، وفوك، وهنوك، وذو مال، وهي أسماء ترفع بالواو، وتنصب بالألف، وتجرّ بالياء»[99].

وأصل (ذو) عند مكي ذوى مثل عصى والدّليل تثنيتها على (ذَوَاتَا) وجمعهما على ذوات وأصل ذات ذوات حذفت الواو تخفيفًا وللفرق بين الواحد والجمع[100]، يقول النّحّاس:«وأصل ذو (ذو) فاعلم وقد نطق القرآن به على الأصل قال الله عزّ وجلّ:﴿ذواتا أفنان﴾»[101].

جاء في الصّحاح «وأصل ذو ذَوًى مثل عصًا، يدلّ على ذلك قولهم: هاتان ذواتا مال قال تعالى:﴿ذواتا أفنان﴾ في التثنية، نرى الألف منقلبة عن واو، ثمّ حذفت من ذوى عين الفعل لكراهتهم اجتماع الواوين لأنّه كان يلزم في التثنية ذووان مثل عصوان، فبقى ذًا منوّنًا ثمّ ذهب التّنوين للإضافة في قولك: ذو مال، والإضافة لازمة»[102] ووزن ذو عند سيبويه فَعْل كما تقول: أبوان مفردها أب على وزن فعل[103].

5- الحذف للحمل على النظير:

- **تذر:**

من قوله تعالى:﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾[104]، وقوله تعالى:﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾[105].

(تذر) و(ذر) بمعنى (يدع) و(دع) التي تعني يترك واترك، ولا ماضي منهما. واستغنى عن ماضيهما بتَرَك، وأصل يدع يودع، وأصل دع، ودع، لأنّه بمنزلة يزن ويلد حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، لأنّ فتحة الدّال عارضة إنّما انفتحت لأجل حرف الحلق والكسر أصلها فبني الكلام على أصله. وقد ذلك فيه فحذفت واو تدع لذلك، وحذفت الواو من تذر حملًا على نظير في الاستعمال والمعنى وهو يدع ودع لأنّهما جميعًا لم يستعمل منهما ماض، وحذفت الواو من (فذرهم) لأنّه بمعن[106]ى فدعهم[(107)].

خاتمة

من خلال هذا الدراسة نلاحظ رابط مكي البنية الصّرفيّة بالصّوت فمن خلال المباحث المتعلّقة بالصّوت، كلّها مرتبطة ببنية الكلمة أو التّغييرات التي داخل البنية هي ناتجة عن تأثر الأصوات بعضها ببعض، فنلاحظ هذا على الكلمات الواردة في أبحاث الإدغام، والحذف.

ولعلّ اهتمام مكيّ بهذه الظّواهر الصّرفيّة الصّوتيّة، وكذا العلماء قبله، يعود إلى أنّ اللّغة تميل إلى اليُسر السّهولة والخفّة في النّطق،

وقد سلكت اللّغة العربيّة نهجًا خاصًّا للفرار من المركبات الصّوتيّة العسيرة النّطق إذ لجأت إلى استدعاء ظواهر صوتيّة معيّنة قصد بعث الانسجام والخفّة بين الأصوات المتجاورة كظاهرة الإدغام، والإبدال، والإعلال، والحذف.

كما لاحظنا أنّ التّنافر والتّقارب يأتي نتيجة التّجاور الصّوتي، فالصّوت قد يفقد بعض خصائص أو يكتسب غيرها نتيجة تأثره وتأثير فيما يجاوره من أصوات لذلك درس النّحاة القدامى هذه الظّاهرة ووضعوا لها قوانين من هذه القوانين ما يسمّونه المماثلة عند المحدثين، ويسمّيها ابن جني في كتابه (الخصائص) التّقريب أو المضارعة أو الإدغام، ويقصد بها تقريب صوت من صوت في كلمة واحدة إذا تناقضا تحقيقًا للانسجام[(108)].

وهناك قانون يسمّونه المخالفة، وهو إبدال أحد الصّوتين المتماثلين في الكلمة بصوت آخر لأنّ هذين الصّوتين المتماثلين يحتجان إلى مجهود عضلي للنّطق في كلمة واحدة[(109)]، وقد سمّاه ابن جني بأسماء مختلفة مثل كراهيّة التقاء الهمزتين[(110)] وكراهيّة التضعيف[(111)] كراهيّة التقاء المثلين[(112)].

كما أنّ للميزان الصّرفيّ دورًا في حدوث عملية التّجاوّر الصّوتي، فتجاور بعض الأصوات المتنافرة لا يحدث إلّا وفق توزيع معيّن للأصوات، وهذا التّوزيع بفرضه ميزان محدّد لهذه الكلمات، فلا يمكن للكلمة في السّيّاق إلّا أن تكون على وزن من الأوزان التي حدّدها الصّرفيون سواء أكانت هذه الأوزان قياسيّة أم سماعيّة، عربيّة أم معرّبة فالصّيغة قد تكون مفردًا فتتحوّل إلى جمع، أو تكون مجرّد فتتحوّل إلى مزيد، أو تكون مصدرًا فتتحوّل إلى فعل أو العكس، أو تكون فعلًا فتتحوّل إلى أحد المشتقّات (اسم فاعل، مفعول، صفة مشبّهة) وهذه التّحولات الصّرفيّة محكومة يتلك الموازين، فالتّوزيع الصّوتي في الصّيغة، يتحكّم فيه الميزان الصّرفي، فلولا الميزان الصّرفي لَمَا حدثت بعض المجاورات الصّوتيّة وبالتّالي لما حدث إدغام أو إبدال، أو إعلال، أو حذف.

الهوامش:

[1]– ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين، ط4، 1987م(دغم)، 1920/5.

[2]– ينظر: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، الإقناع في القراءات السبع، دار الصحابة للتراث، دط، دت، 164/1.

[3]– أبو الفتح عثمان بن جني،الخصائص،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، دط، دت، 139/2–140.

[4]– ابن عصفور علي بن مؤمن بن محمد، الممتع الكبير في الصرف، مكتبة لبنان، دط، دت، 631/2.

[5]– ينظر:عبد اله عثمان عبد الرحمن سلطان، جهود المنتجب الهمذاني من خلال كتابه الفريد في إعراب القرأن المجيد،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة، جامعة أم القرى، السعودية،1999– 2000 ص 191.

[6]– ينظر: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش شرح المفصّل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2001، 121/10.

[7]– ينظر: شمس الدين أبو الخير بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الصباغ، المطبعة التجارية الكبرى، دط، دت، 274/1، والإقناع، 195/1.

[8]– ينظر: المرجع نفسه، 274/1، 279، والإقناع، 238/1.

[9]– القراءات وأثرها، ص 88.

[10]– البقرة: 60.

[11]– المرجع السابق، ص 88.

[12]– الإسراء: 80.

[13]– ينظر: الرّائد في التّجويد، ص 38.

[14]– ينظر: المرجع نفسه، ص 48.

[15]– ينظر: القراءات وأثرها، ص 90.

[16]– المجادلة: 01.

[17]– ينظر: الرّائد في التّجويد، ص 39.

[18]– ينظر: المرجع نفسه، ص 48.

[19]– ينظر: القراءات وأثرها، ص 90.

[20]– البقرة: 125.

[21]– ينظر: الرّائد في التّجويد، ص 48.

[22]– ينظر: الرّائد في التّجويد، ص 38، 39.

[23]– ينظر: القراءات وأثرها، ص 90.

[24]– البقرة: 256.

[25]– ينظر: الرّائد في التّجويد، ص 1.

[26]– ينظر: الرّائد في التّجويد، ص: 48.

[27]– ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط4،1971، ص: 48.

[28]– النّمل: 66.

[29]– ينظر: النّشر 339/2، والإقناع، ص: 357.

[30]– ينظر: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي مشكل إعراب القرآن، حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 ، 1984 م، 539/2.

[31]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[32]– أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، دط، 143/2.

[33]– يٰس: 57.

[34]– المشكل، 607/2.

[35]– ينظر: المصدر نفسه، 607/2، 771/2.

[36]– ينظر: المصدر نفسه، 536/2.

[37]– ينظر: المحتسب، 143/2.

[38]– البقرة: 158.

[39]– ينظر: المشكل، 114/1.

[40]– المزمل: 01.

[41]– ينظر: طاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م، 256/29. وينظر: محمود جار الله الزمخشري،الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1988م، 634/4.

[42]– ينظر: أحمد مختار عمر و سالم عبد العال مكرم، معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، ط2،1988م،7 /251.

[43]– ينظر: المشكل، 767/2.

[44]– يونس: 24.

[45]– ينظر: المشكل، 343/1.

[46]– النّساء: 46.

[47]– ينظر: التحرير والتّنوير، 76/5.

[48]– المشكل، 199/1.

[49]– نوح: 26.

[50]– ينظر: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف التجاني وآخرين،دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط1،دت، 190/3.

[51]– المشكل ، 762/2.

[52]– الصّحاح ، 120/1.

[53]– محمد بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت،ط3، 1995م، 40/9.

[54]– التّوبة: 30.

[55]– ينظر: عبد البديع النيرباني،الجوانب الصّوتية في كتب الاحتجاج، دار الغوثاني، دمشق، ط1،2006م، ص 145، والقراءات وأثرها، 273/1.

[56]– المشكل، 326/1.

[57]– ينظر: القراءات وأثرها، 273/1.

[58]– الإخلاص: 01.

[59]– المشكل ،

[60]– معاني القرآن للفرّاء، 300/3.

[61]– الصّافّات: 06.

[62]– المشكل، 610/2.

[63]– فصّلت: 39.

[64]– ينظر: النّشر، 325/2.

[65]– المحتسب، 74/2.

[66]– المشكل، 642/2.

[67]– البيّنة: 01.

[68]– المشكل، 831/2.

[69]– الصّافات: 163.

[70]– ينظر: أبوعبد الله شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة،ط2، 1964م، 136/15.

[71]– ينظر: المشكل ، 620/2، والمحتسب، 191/1.

[72]– ينظر: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، معاني القراءات، مركز البحوث في كلية الآداب، – جامعة الملك سعود، السعودية ط1،1991، 324/2.

[73]– البقرة: 44.

[74]– ينظر: المشكل، 92/1.

[75]– الصّافّات: 38.

[76]– ينظر: المشكل ، 612/2، و620/2.

[77]– ينظر: أبو منصور الثعالبي، فقه اللّغة وسرّ العربيّة،تحقيق عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1، 2002م، ص 237.

[78]– الأنعام: 80.

[79]– ينظر: النّشر، 55/3.

[80]– القراءات وأثرها، 30/2.

[81]– المشكل ، 258/1.

[82]– جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ألفية ابن مالك، دار التعاون، دط، دت، ص 12.

[83]– القراءات وأثرها، 30/2.

[84]– المشكل ، 258/1.

[85]– الحجر: 54.

[86]– ينظر: النشر، 302/2، وينظر: أبو بكر بن مجاهد البغدادي ، السّبعة في القراءات،تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2،1982م، ص 367.

[87]– المشكل ، 414/1.

[88]– غافر: 28.

[89]– ينظر: المشكل ، 636/2.

[90]– الكتاب، 294/1.

[91]– ينظر: فقه اللّغة وسرّ العربيّة، ص 236، والإتقان، 191/3، والبرهان في علوم القرآن، 106/3.

[92]– النّاس: 01.

[93]– ينظر: التحرير والتنوير، 633/30.

[94]– ينظر: اللّسان (نا)، 245/6.

[95]– ينظر: العين (نوس)، 303/7.

[96]– مشكل إعراب القرآن، 856/2.

[97]– الأنعام: 147.

[98]– الأنفال: 01.

[99]– ينظر: اللّسان (ذو وذوات)، 457/15.

[100]– ينظر: المشكل ، 277/1، و707/2.

[101]– أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن،تحقيق عبد المنعم خليل،، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،2001م، 121/1.

[102]– الصّحاح (ذو)، 2551/6.

[103]– ينظر: الكتاب، 263/3.

[104]– المدثّر: 28.

[105]– المؤمنون: 54.

[106]

[107]– ينظر: مشكل إعراب القرآن، 691/2 و773/2.

[108]– ينظر: الخصائص، 146/2.

[109]– ينظر: الأصوات اللّغويّة، ص 211.

[110]– ينظر: سرّ صناعة الإعراب، 305/2، 306.

[111]– ينظر: المرجع نفسه، 383/2.

[112]– ينظر: الخصائص، 20/3.